

دور راس المال الاجتماعي في دفع عجلة التنمية

د. فوزية بلعجال جامعة سيدي بلعباس

مقدمة:

لقد ارتبط مفهوم ثروة المجتمع عند العديد بما يتراكم من اموال وممتلكات، وأصبح الراس المال المادي هو الشكل الطاغي في مفهوم التنمية لدى الجميع. متناسين ان راس المال ليس منحصر في شكله المادي بل يتعدى ذلك الى اشكاله التي تتعدد بين راس مال رمزي، فكري واجتماعي...الخ. لكن الاتجاهات الحديثة والتي تبحث في اسباب تطور المجتمعات وتقدمها، اشارت الى الدور الفعال للرأس المال الاجتماعي في دفع عجلة التنمية. الامر الذي اسال الكثير من الحبر حول كيفية ادارة العلاقات القرابية والروابط الاجتماعية في اتجاه تحقيق ما يسمى بالتنمية المستدامة.

لقد وظف المفهوم الجديد في محاولات عديدة لفهم الواقع الاجتماعي، فاتجاه بيار بورديو في تحليله لراس المال الاجتماعي وعلاقته بالرصيد الاجتماعي للأفراد من علاقات وروابط وإمكانية تراكمه واستخدامه. والاتجاه الآخر والذي ارتبط بالجانب الاقتصادي من خلال طرح كل من جيمس كولمان الذي اشار الى الراس المال الاجتماعي بصفته الرصيد الذي يمتلكه الفرد من علاقات وقيم تمكنه من أن يؤسس لعلاقات داخل البناء الاجتماعي، في حين ذهب روبرت بوتنام الى ضرورة تحديد الخصائص والسمات التي تكون رصيد داخل التنظيم الاجتماعي، مثل الثقة، والمعايير، والشبكات الاجتماعية.

تعتبر التنمية الاقتصادية والاجتماعية اكبر تحد يواجه مجتمعا، نتيجة التخلف الاقتصادي وما يتبع ذلك من ارتفاع لنسب الامية وغيرها من مظاهر التخلف في زمن التقدم الذي يشهده العالم وتسارع الاحداث والمستجدات العلمية والتقنية. فكيف يمكن لراس المال الاجتماعي ان يصبح موردا من موارد التنمية؟

سنحاول من خلال عرضنا التعرض لتعريفات راس المال الاجتماعي ومختلف مصادره وكيف يمكن لهذه المصادر ان تكون دافعة او كابحة لعملية التنمية. يعتبر راس المال الاجتماعي من اكثر صور راس المال غموضا نتيجة عدم امكانية تمييزه و صعوبة قياسه.

فقد عرفه بوتنام على أنه: " معالم التنظيم الاجتماعي مثل الثقة، والمعايير والشبكات التي يمكن ان تحسن من كفاءة المجتمع في تسهيل اعمال منسقة"(Anirudh Krishna, 2002, P.2).. ان استخدام بوتنام لتعريفه لراس

المال الاجتماعي جاء لإثبات ان التقليد الطويل للمشاركة المدنية قد انتج اكبر مخزون من راس المال الاجتماعي. وان انخفاض المشاركة في الشبكات والمؤسسات الاجتماعية والسياسية هو مؤشر على بداية انهيار راس المال الاجتماعي، وبهذا فقد

خلص الى تعريف اشمل نستعرضه فيما يلي: "بينما يشير رأس المال المادي الى الاشياء المادية و رأس المال البشري الى خصائص الأفراد، فرأس المال الاجتماعي يشير الى الروابط بين الافراد، والشبكات الاجتماعية ومعايير المعاملة بالمثل والجدارة بالثقة التي تنجم عنها" (غول فرحات، 2011).

بالنسبة لكولمان، فقد قسمه الى ثلاثة اشكال لرأس المال الاجتماعي: الالتزامات و التوقعات، قنوات المعلومات والمعايير الاجتماعية. باعتبار ان رأس المال الاجتماعي غير متواجد على مستوى الافراد او الواقع و لكن يتواجد في العلاقات الاجتماعية بين الافراد و يتشكل من الالتزامات و التوقعات فيما بين الافراد وإمكانية الحصول على المعلومات و المنافع. ويذهب بتعريفه إلى أن رأس المال الاجتماعي يكمن في العلاقات الاجتماعية بين الأفراد، ومن عناصره الالتزامات والتوقعات فيما بينهم، إمكان حيازة المعلومات، والأعراف والجزاءات، وفي نظره يتحقق رأس المال الاجتماعي نتيجة لأنشطة غير مقصودة (هاني خميس، 2008، ص9).

اما بورديو فقد اشار الى أنه. " مجموع الموارد، سواء كانت فعلية او ظاهرية، التي تعود على الفرد او المجموعة بحكم امتلاك شبكة متينة من علاقات التعرف و الاعتراف المتبادلة"، و اشار الى ان حجم رأس المال الاجتماعي يعتمد على شبكة الاتصالات والعلاقات وعلى حجم رأس المال الاقتصادي، الثقافي والرمزي الذي يمتلكه الفرد بحكم تفاعله مع الآخرين. فاستخدام الفرد لمكانته التي حصل عليها من خلال انشاءه لشبكات اجتماعية او انضمامه الى احزاب سياسية تجعله ذو رصيد اكبر اجتماعيا وثقافيا يزيد من مصالحه، وهنا تظهر امكانية تحويل رأس المال الاجتماعي الى رأس مال مادي (غول فرحات، 2011).

➤ مصادر رأس المال الاجتماعي:

لقد رصد البنك الدولي جملة من مصادر رأس المال الاجتماعي في مشاريعه المتعلقة برأس المال الاجتماعي من اجل التنمية يمكن التعرض اليها فيما يلي (انجي محمد عبد الحميد، 2010، ص: 26-28) :

1. الأسرة: هي الركيزة التي يعتمد عليها المجتمع في نهضته والمصدر الرئيسي لرأس المال الاجتماعي. فبصفتها مجموعة من العلاقات المتبادلة والمتشابكة توفر المجال الامثل لتنمية الروابط والعلاقات غير الرسمية التي تهدف الى تقديم المساعدات والخدمات والتعاون بين أعضائها، خاصة في ظل الازمات الاجتماعية والاقتصادية. هي المساهم الاول في تكوين قيم الفرد وعلاقاته بالمجتمع منذ طفولته، بإشباع كل حاجياته خلال مراحل نموه.

تساهم الاسرة في تراكم راس المال الاجتماعي بما تقدمه من تعاون ومساعدات بين أفرادها، لكن احيانا قد تشكل عائق من خلال عدم ثقة اعضاءها بمن هم خارج نطاقها بسبب عزلتها عن المحيط والمجتمع تجنباً للضغوط الاجتماعية. فلا بد ان تكون المنع في تطوير نوع من العلاقات الحميمة القائمة على الحب والاحترام المتبادل بين الطفل ووالديه والأفراد المحيطين به في الأسرة.

لا يمكننا تجاهل الدور المهم للأسرة في ترسيخ وتنمية القيم الاجتماعية خاصة في مرحلة الشباب عبر تدرج مطلوب بعناية للمحافظة على هذه القيم وعلى استمرارها خاصة وان ما نشهده هو مشاركة بعض المؤثرات في ترسيخ هذه القيم كالرفاق ووسائل الاعلام وغيرها من المصادر التي يمكن ان تؤول دون الاداء الفعلي لدور الاسرة.

من فطرة الانسان انه يحتاج للناس ولا يمكنه العيش بمفرده كما قال ابن خلدون " الانسان مدني بطبعه"، فمشاركة الناس ومخالطتهم والتواصل معهم من الطبيعة الانسانية فينا، ومن هنا كن لزاما ترسيخ قيم التعاون والتعامل مع بعضنا البعض في بداية نشأة الفرد والتي لا تكون خارج الاسرة. فالحرص على نشأة الطفل في بيئة اجتماعية فعالة تضمن قدر اعلى من التكيف الاجتماعي وبناء علاقات اجتماعية ناجحة (محمود المساد، 2001).

فجالسة الطفل للأشخاص البالغين تكسبه قيماً اجتماعية عظيماً من أهمها الثقة بالنفس، عن طريق استماعه للأحاديث الجادة والاهتمامات العالية، والتفكير الواع، والنقاشات البناءة التي تشعره بالنضج ويزيد شعوره بتحمل المسؤولية (داود درويش حلس).

اضافة الى الدور البالغ الأهمية الذي يتجلى في بناء الاتجاه الإيجابي لدى الأبناء نحو المهنة المناسبة لإمكاناتهم ورغباتهم وقدرتهم من جهة، ومع حاجات المجتمع وتلبية متطلباته من جهة أخرى.

تتشارك الاسرة مع المدرسة في الدور الفاعل والمهم في تعزيز الشعور بتحمل المسؤولية، وباعتبار المدرسة المؤسسة التربوية الاولى من خلال الدور الهام الذي تلعبه في تشكيل الاتجاهات الاساسية لنمط شخصية الفرد بعدة وسائل اهمها المنهاج الدراسي الذي يؤثر في الطفل من خلال المفردات التي يتم اختيارها في الخطاب الموجه للتلميذ. ناهيك عن الامثلة العلمية التي يستخدمها المعلم في توضيح الفكرة والتي تتم بالروح الإيجابية، مع ضرورة مشاركة التلميذ والتي تجعله اكثر ثقة بنفسه لتحمل المسؤولية والشعور بالاحترام. ان العبئ الكبير يقع على عاتق المعلم حيث انه يقع على عاتقه تقويم سلوك التلاميذ وغرس القيم والعادات الطيبة والمبادئ الفاضلة.

2. **الروابط الاثنية:** يمكن اعتبارها من مصادر راس المال الاجتماعي بصفقتها تؤثر على طريقة تنشئة الافراد بتأثيرها على اتجاهات سلوكهم وأفكارهم. لكنها يمكن ان تؤدي احيانا الى التعصب اتجاه من يكون خارج نطاق الجماعة الواحدة.

3. **المجتمع المدني:** يعتبر من المصادر المهمة في تكوين راس المال الاجتماعي، ويظهر ذلك جليا في المجتمعات التي تتميز بارتفاع وعي مواطنيه وارتفاع معدلات المشاركة في الحياة المدنية. فهو مجموعة من التنظيمات والجماعات غير حكومية تلعب دورا محوريا في مساعدة الافراد بإتاحة الفرصة للاندماج في أنشطة وتكوين ثقة بين عناصر الجماعة من اجل تحقيق مصالح المجتمع.

لا يمكن اعتبار المجتمع المدني من جانبه المؤسساتي فقط، بل اهم من ذلك جانب القيم والأخلاقيات والثقافة المدنية التي يساهم في نشرها داخل الجسم الاجتماعي بحيث تتحول إلى معايير وأسس تحكم السلوكيات وتوجهها، من خلال اعطاء امكانية توفر إرادة الفعل الحر والتطوعي، وبهذا فهو يختلف عن الجماعات القروية مثل الأسرة والعشيرة والقبيلة، والتي لا دخل للفرد في اختيار عضويتها.

ان تنظيم المجتمع المدني يساهم في خلق نسق من المؤسسات والاتحادات التي تعمل بصورة منهجية خاضعة في ذلك لمعايير منطقية ولقواعد وشروط وقع التراضي بشأنها. دون تناسي الجانب الأخلاقي والسلوكي الذي ينطوي على قبول الاختلاف والتنوع بين الذات والآخرين، وعلى الالتزام في إدارة الخلاف داخل، وبين مؤسسات المجتمع المدني، وبينها وبين الدولة، بالوسائل السلمية، وفي ضوء قيم الاحترام والتسامح والتعاون والتنافس والصراع السلمي (عمر برنوصي).

إن هذه القيم والمبادئ العامة، إذا ما ترسخت داخل مجتمع معين، لا بد أن تسمح بانبعث مجتمع مدني قوي وفعال ينقذ المواطن الفرد من عزلته، ويضع أسسا واضحة للتعامل والتفاعل مع الدولة على قاعدة قانونية ودستورية وقع الإجماع عليها من طرف أغلب القوى والتيارات والتشكيلات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية. يعتبر بوتنام اول من ربط بين مفهوم رأس المال الاجتماعي وبين المجتمع المدني عندما وصف رأس المال الاجتماعي بأنه "معالم المنظمة الاجتماعية مثل الشبكات، والمعايير، والثقة الاجتماعية التي تُسهّل التنسيق والتعاون من أجل المنفعة المتبادلة". (Putnam, 1995).

يلاحظ الربط بين المفهومين في أكثر من جانب، فقد تعددت الدراسات التي تناولت العلاقة بينهما. فمنهم من وجد أن المجتمع المدني يعتمد على رأس المال الاجتماعي، وأنه ينهض نتيجة لنهوضه. وآخرون وجدوا أن الوفرة من رأس المال الاجتماعي من المفترض أن تنتج مجتمعا مدنيا كثيفا. وأيضا هناك من اعتبر أن المجتمع المدني هو أحد البعدين لرأس المال الاجتماعي. (نادية ابو زاهر، 2008)

4. **القطاع العام:** أي المؤسسات التي تنتمي الى الدولة، تعمل على توفير الحماية ووضع القوانين لتسيير الامور و توفير الرفاهية الاجتماعية للمواطنين.

ان العاملين في القطاع العام لديهم اعلى مستوى من المشاركة والشبكات الاجتماعية مقارنة بالآخرين، وبنفس الاهمية قد لوحظ ان لديهم مقدار اكبر من راس المال الاجتماعي مقارنة بالآخرين.(محمد نصر، جميل هلال، 2007).

و يمكن اضافة مصادر اخرى كالتفاعلات بين الاقارب والأصدقاء والجيران تنشط عامة في سياق المجتمعات التي تقل فيها المشاركة في المجتمعات المدنية.

ان سيطرة الانتماءات التقليدية الموروثة كالأسرة والعائلة والانتماءات الدينية وسيادتها على الفضاء الاجتماعي يضعف امكانية نمو راس المال الاجتماعي خاصة وان علاقتها ضعيفة بالارتباطات الحديثة المدنية والرسمية. فالثقة داخل الاسرة او العائلة تنحصر في حيزها الضيق لا تتعدى افرادها في حين انها ذو مردود اجتماعي مهم داخل الانتماءات الحديثة و هذا ما يشكل امرا مهما في مسار التنمية. ان الانتماءات الى المجتمع المدني ما تزال ضعيفة ولا تسمح بانتشار الثقة في الفضاء الاجتماعي وحتى وان وجدت فهي نتيجة العلاقات التقليدية التي من شأنها تضيق النطاق على الثقة بين افراد المجتمع وتقلص من مجال تأثيرها. ان الانتماءات الحديثة وحتى الساعة تبقى فقيرة الى تأسيس نمط جديد للعلاقات بمعزى عن الشبكات التقليدية. مما يسبب اندثار الراس المال الاجتماعي او انخفاضه بسبب غياب التعاون الجماعي و حصره في شبكة هذه العلاقات.

➤ **مفهوم التنمية :** هي عملية تحول متعدد الابعاد لمختلف الهياكل الاقتصادية والسياسية والاجتماعية يجري في اطار مؤسسات سياسية تحضى بالقبول العام وتسمح باستمرار التنمية في ظل احياء وتجديد القيم الاساسية للثقافة الوطنية (مصطفى عبد الله الكفري، 2004 ، ص1) .

المجتمع المدني والتنمية: إن الأهمية الكبيرة التي اكتسبتها منظمات المجتمع المدني نتيجة الدور الايجابي الذي تلعبه في حياة الفرد و المجتمع، جعلت العديد من البلدان تشجع تواجدها. هذا التواجد الذي تتعدد مجالاته بهدف تحقيق العدالة وتقديم يد المساعدة لمختلف الفئات والشرائح على اختلاف تكوينها واحتياجاتها. ان مساهمة المجتمع المدني ودوره في التنمية يتجلى في ثلاث جوانب رئيسية، الجانب الاجتماعي، الاقتصادي والثقافي (احمد ابراهيم ملاوي، 2008، 260-265):

تساهم منظمات المجتمع بإعطاء الافراد حق اىصال اصواتهم بصورة قانونية، منظمة وفعالة الى الجهات المسؤولة وتمكنهم من حرية التعبير عن مطالبهم. اضافة الى توفير فرصة انجاز برامج في مجالات مختلفة تخدم التنمية الاجتماعية كبرامج

التعليم والتدريب ومحو الامية، ومساعدة الاسر واقامة مراكز اجتماعية للشباب وفي احيان كثيرة تامين وجبات للفقراء.

دون ان نتناسى حلقة الوصل التي تساهم في انشاءها بين طبقات المجتمع عن طريق المساعدات التي يقدمها ميسوروا الحال لصالح الفئات المحرومة، مما يولد جوا من التآزر والتراحم والإيثار بين افراد المجتمع.

اما من الجانب الاقتصادي، فتعد احدى الادوات التي تستخدم في مكافحة والتقليل من حدة الفقر من خلال المساعدات المالية التي تقدم للفئات المحرومة والمحتاجة، ومساعدتهم على الحصول على مهارات بواسطة اتاحة فرصة تدريبهم وتأهيلهم ببرامج تكوينية او توجيههم للاستفادة من مهاراتهم في اعمال تحولهم من عاطلين الى اشخاص فاعلين في المجتمع.

يمكن اعتبار هذه المؤسسات بمثابة اداة فعالة في اعادة توزيع الدخل من خلال توزيع المساعدات المالية للفقراء لتلبية احتياجاتهم مما يزيد في الرفاهية الاجتماعية. ان تبرعات الاغنياء ومساعداتهم قد تساهم في تمويل بعض المشاريع الصغيرة وتشغيلها مما يسمح بتوفير فرص عمل. ان الانخراط في هذه المنظمات في حد ذاته يعتبر استثمار لوقت الفراغ وخاصة لفئة الشباب العاطلين عن العمل. فقد اشارت بعض الدراسات (المفلح، 2007) إلى أن معدل ساعات التطوع المبذول في الولايات المتحدة الأمريكية يوازي عمل تسعة ملايين موظف، ويقدر مجموع الوقت الذي يتم التطوع به في إحدى السنوات ما قيمته 176 مليار دولار.

يسهم قطاع العمل المدني في زيادة فرص العمل في الاقتصاد، حيث تشير الإحصائيات إلى أن نسبة مساهمة القوى العاملة في منظمات المجتمع المدني إلى إجمالي السكان الفاعلين اقتصاديًا تشكل 4.4 % على مستوى العالم.

تساهم ايضا بشكل ايجابي في تثقيف افراد المجتمع من خلال الندوات والأيام الدراسية التي تقوم بها على اختلاف المحاور التي تتناولها سواء في المجال التعليمي، الرياضي والاجتماعي...الخ. ومن خلال توعية المواطنين بواسطة البرامج التوعوية والتطوعية للحفاظ على البيئة وحمايتها وتنظيم حملات النظافة والتشجير وحماية الطبيعة من التلوث (القصبي، 2007).

تتمتع منظمات المجتمع المدني بدور كبير في تحقيق الديمقراطية سواء في الدول المتقدمة أو الدول النامية، بصفتها احد أشكال رأس المال الاجتماعي الذي يمكن به مقاومة المركزية وإساءة استعمال السلطة الحكومية، عن طريق تشكيل جماعات ضغط لها القدرة على كسب تأييد أعضاء السلطة التشريعية.

يشعر العمل التطوعي براحة النفس والضمير وينمي الشعور بالاعتزاز والفخر والثقة، بالنفس عند المتطوع، ويقوي عند الأفراد الرغبة بالحياة ويفعمهم بالأمل والثقة بالمستقبل حتى أنه يمكن استخدام العمل التطوعي لمعالجة الأفراد المصابين بالاكتئاب

والضيق النفسي والمال من خلال شعورهم بدورهم واهميتهم ومساهماتهم في تنمية مجتمعهم (عبد السلام، 2004).

خاتمة:

ان اهمية الراس المال الاجتماعي من خلال جميع اشكاله تشكل حجر الاساس في كل عملية تنموية فكما يمكنه ان يكون دافعا لها يمكنه ان يكون من اسباب فشلها، فاهمية العلاقات الترابطية بجميع اشكالها في المجتمع تساهم في خلق الجو الذي تعتمد عليه العملية التنموية، وبدون تواصل افراد المجتمع وتكاملهم وتعاونهم و مشاركة كل فرد فيه مهما كان انتماءه، ومشاركتهم في الامور التي تخدم مصلحتهم المشتركة قبل المصلحة الفردية لا يمكن التحدث عن عملية التنمية في جميع اشكالها حتى ولو سخرت المبالغ المالية والإمكانات المادية اللازمة لذلك.

المراجع:

1. أبو زاهر، نادية (2008) "رأس المال الاجتماعي والجدل حول علاقته بالمجتمع المدني". مجلة عود الند www.oudnad.info.
2. احمد ابراهيم ملاوي (2008)، اهمية منظمات المجتمع المدني في التنمية، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، المجلد 24، العدد الثاني.
3. انجي محمد عبد الحميد (2010)، "دور المجتمع المدني في تكوين راس المال الاجتماعي" المركز المصري للحقوق الاقتصادية والاجتماعية، سلسلة ابحاث و دراسات، العدد الاول.
4. داود درويش حلس، "الشعور بالمسؤولية وغرس روح الاحترام كقيمة تربوية، أحد أساليب تنمية الإبداع لدى الطفل"، مقدم للجمعية الفلسطينية للعلوم التربوية والنفسية.
5. عبد السلام، مصطفى محمود (2004)، " دور العمل التطوعي في تنمية المجتمع :مقترحات لتطويره في المعالجة النفسية والصحية والسلوكية"، المجلة العربية، العدد 325.
6. عمر برنوصي، "مفهوم المجتمع المدني بين الفلسفة السياسية الغربية والسوسيولوجيا المعاصرة".
7. غول فرحات (2011)، "ادارة راس المال الاجتماعي في المؤسسات الاقتصادية"، الملتقى الدولي حول راس المال الفكري في منظمات الاعمال العربية في الاقتصاديات الحديثة، يومي 13 و14 ديسمبر 2011، جامعة الشلف.
8. القصيبي، خالد (2007)، " المؤسسات الخيرية والأهلية ودورها في التنمية الاجتماعية"، جريدة الجزيرة، العدد 12595 .
9. محمد نصر، جميل هلال (2007)، "قياس راس المال الاجتماعي في الاراضي الفلسطينية"، معهد ابحاث السياسات الاقتصادية الفلسطيني.
10. محمود المساد (2001)، "تربية الطلبة على الخلافات عن طريق الحوار"، عمان .
11. مصطفى عبد الله الكفري (2004)، "التنمية الشاملة والتنمية البشرية"، مجلة الحوار المتمدن، العدد 816.

12. المفلح هيام (2007)، "العمل التطوعي استثمار أممي واقتصادي .. كل ريال ينفق فيه عانده خمسة ريالات"، جريدة الرياض السعودية، العدد 14166 .
13. هاني خميس (2008)، "رأس المال الاجتماعي"، المركز الدولي للدراسات المستقبلية والاستراتيجية، القاهرة.

1. Anirudh Krishna (2002), " **Active Social Capital**", Columbia University Press, New York.
2. Robert Putnam (1995) "**Bowling Alone: Americas Declining Social Capital**." The American Studies at the University of Virginia.
<http://xroads.virginia.edu/~HYPER/detoc/assoc/bowling.html>